الفصل الثاني

التعامل مع القمع المفرط

يتبادر سؤال إلىٰ الأذهان حول حالات القمع المفرط التي لا يستخدم فيها النظام إلا الأساليب الدموية القاتلة لمحاولة وأد مقاومة شعب أعزل، كأن يستخدم مرتزقة تنتهك الحرمات، فتقتل وتروع، أو يوظف قوات الجيش بكل آلياتها، البرية والبحرية والجوية، في حرب شاملة علىٰ الشعب، يقتل فيها العزل فيقصف المنازل ويدمر الأحياء، ليقتل الرضع، والأطفال، والنساء، والرجال، بل وأحيانا الحيوانات بلا هوادة، في مجازر بشعة للحفاظ علىٰ العرش...!! هل يمكن للاعنف بصورته النموذجية السلمية أن يتصدىٰ لهذه الجريمة؟ وما الذي يملك شعب أن يقوم به إزاء محاولات الإبادة الجماعية والتهجير والتطهير العرقي؟

إننا في هذا الفصل لا نتحدث عن عنف مفرط طارىء، نتج عنه مقتل محتجين بشكل استثنائي، ولكننا نتحدث عن القمع المفرط الممنهج الذي يهدف إلىٰ سحق شعب بكل ما تحمله الكلمة من معنىٰ، مثلما حدث في كوسوفو ضد القرويين الألبان في عام 1998. ولاينسحب حديثنا هنا علىٰ عنف قوات مكافحة الشغب التي تتبنىٰ إرشادات علمية، محددة، مقننة محلياً، وعالمياً لفض تظاهرات أو احتجاجات، حتىٰ وإن نتج عن ممارساتها إزهاق في الأرواح، لا يعبر عن سياسة أصيلة في القمع.

وإجابة السؤال تتطلب الإشارة للمستويين الأوليين لحرب اللاعنف: الفلسفة والاستراتيجية، قبل الاستفاضة في الحديث عن المستوىٰ الثالث «**مستوىٰ التكتيكات**».

علىٰ مستوىٰ الفلسفة لابد من التعرض إلىٰ سؤال: ماهو الشكل النهائي للمجتمع الذي يريده المقاومون؟

وعلىٰ مستوىٰ الاستراتيجية: ما المسار الأفضل لتحقيق هذا المجتمع؟

وأما علىٰ مستوىٰ التكتيك: ما هي التكتيكات المناسبة لإنجاح هذا المسار؟

أولاً: مستوى الفلسفة

الهدف النهائي من الصراع السياسي في فلسفة "حرب اللاعنف" هو بناء مجتمع قوي، حر، متماسك، منتج، يحترم التعددية، يدور الصراع السياسي فيه عبر وسائل مدنية، وليس مغلوباً علىٰ أمره بالقوة العسكرية، أو الأمنية التي غالباً ماتحتكرها أجهزة النظام.

أما عن موقفه من الحكومة فهو ليس معتمداً عليها بقدر ما هي معتمدة عليه، فهو الذي يملك القدرة علىٰ دعمها أو معارضتها أو تغييرها، متخذاً من اللاعنف مساراً لضمان توزيع القوة بشكلها الصحيح داخل المجتمع.

ثانياً: مستوى الاستراتيجية

يطرح المسار اللاعنيف نفسه كأحد أقوىٰ المسارات التي تؤدي إلىٰ إعادة توزيع القوة في المجتمعات، وإعادة تعريفها، وتحديد موقع القوة العسكرية من المجتمع كوسيلة لحماية حدوده، لا يسمح المجتمع باستخدامها من أي طرف في إدارة الصراع السياسي الداخلي، ذي الطبيعة المدنية الصرفة.

وعلىٰ المستوىٰ الاستراتيجي تأتي القاعدة: إن كل ما يدعم بناء المجتمع القوي يصبح صحيحاً، وكل مايؤدي إلىٰ ضعفه يصبح مرفوضاً. وينبغي فهم كيفية التعامل مع القمع في هذا السياق. فإجابة سؤال كيفية التعامل مع القمع لا تنفصل عن إجابة سؤال أساسي في مسار التغيير: إلىٰ أين نريد أن نصل بالمجتمع؟ يجب أن نحدد، هل نريد مجتمعاً متماسكاً أم مفتتاً؟ الكلمة العليا فيه لمن يستند إلىٰ السلاح أم لمن ينحاز إلىٰ الشعب؟!

ثالثاً: مستوى التكتيك

أما علىٰ المستوىٰ التكتيكي، فمع الحفاظ الدائم علىٰ تقوية حراك اللاعنف،

ووضع ذلك كمعيار دائم تقاس عليه صحة المسارات التكتيكية، يتم تحليل استراتيجية النظام، ومراده من القمع: هل تخويف الناس؟ هل حصد المجموعة الجريئة واستنزاف الحراك الشعبي؟ هل يهدف إلىٰ جر المجتمع إلىٰ دوامة العنف؟ وإبعاده عن مركز قوته (اللاعنف)، فيقتل المقاومة من جهة، ويمرر لها السلاح من جهة أخرىٰ ليجرها إلىٰ الساحة التي يتفوق فيها عليها، ويخدعها كي تظن أنها تقاتله؟!

وهنا يجدر علىٰ المقاومة أن تعي جيداً، أن الانجرار غير الواعي إلىٰ العنف، يضعف الحركة المقاومة ولا يقويها، وإن الضابط الأساسي لاستخدام بعض التكتيكات العنيفة إن لزم الأمر، هو الدفاع عن المسار اللاعنيف، في مقابل عمليات قصف وإبادة وحشية يمارسها النظام. حتىٰ لا يفقد المقاومون مصدر قوتهم، ولا يستنزف عنف النظام مواردهم. فمثلاً جنوح عقل الجموع إلىٰ أن الحل الوحيد المتبقي هو العنف المضاد، خطأ قاتل، حيث أن الناتج النهائي لهذا الجنوح هو انتقال القوة العنيفة من يد مجموعة أو طائفة تحكم، إلىٰ مجموعة أخرىٰ قادمة متحكمة في أداة الحسم الخاطئة "العنف". وهو ما يعد انقلاباً علىٰ الأهداف التي انطلقت المقاومة لأجلها.

بعد تحديد مراد النظام من القمع يكون الهدف التكتيكي هو قطع الطريق علىٰ القمع كي لا يحقق أهدافه. وهذا يتطلب دراسة أكثر من مسار من خلال طرح التالي:

ما هو المسار المقاوم المقترح سلوكه؟

ما تكلفته علىٰ المقاومة؟ هل يقع ضمن حدود قدرتها الاستراتيجية، أم يفوقها؟

هل يقوي مسار اللاعنف أو يضعفه؟

ما ردود الفعل المتوقعة عليه (**من الجماهير والنظام والعالم**)؟

كيف يمكن رفع التكلفة علىٰ الخصم في حالة تصديه لهذا المسار المقاوم الجديد؟

كيف سيضع المسار المختار الخصم في معضلة؟

كيف ستستثمر ردود الفعل المتوقعة من النظام علىٰ هذا المسلك الجديد (**الجماهير والنظام والعالم**) لصالح المقاومة؟

وبعد دراسة كل مسار (**بإجابة الأسئلة السابقة**) يتم اختيار المسار عن وعي لا تحيز مسبق، وعن تقدير استراتيجي لموزاين القوىٰ وبناء قدرات المقاومة لانتهاج هذا المسار، وتسديد فاتورة تكلفته المتوقعة.

ونضرب هنا نموذجاً لتوضيح الصورة عن المسارات المتوقعة في حالات القمع المفرط الممنهج والمتواصل:

مسار الاستسلام: قد يفكر المقاومون في مسار الاستسلام، وفي هذه الحالة يُتوقع أن يزيد القمع، لا أن يقل وأن يتم وأد المقاومة بشكل متسارع.

مسار العنف غير المدروس: قد يفكر المقاومون في انتهاج مسار الرد العنيف غير المدروس، كحمل مسدس في وجه مدفع، أو بندقية مقابل طائرة، أو جيش غير مؤهل أمام جيش نظامي مجهز، وفي هذه الحالة سيكون النظام هو أول ممول وداعم للمقاومة بالسلاح، ليجرها إلىٰ لعبته التي يجيدها، ويعلن الحرب علىٰ الإرهاب، فيحول القضية إلىٰ اقتتال يصرح فيه الإعلام العالمي بأن انتهاك الحقوق البشرية متبادل بين الطرفين، ويطالب فقط بوقف إطلاق النار. وتكون النتيجة النهائية هي الوأد البطئ للمقاومة، عبر انحسار المشاركة الشعبية، ظناً خاطئاً من البعض أن الحسم أصبح للطرف الأعنف. هنا يجدر الإصغاء إلىٰ نصيحة سول ألينسكي للأمريكيين السود: «**إن القول بأن السلطة هي علىٰ مرمىٰ**

بندقيتنا إنما هو قول أخرق، طالما أن خصومنا يمتلكون البنادق كلها».[1]

مسار اللاعنف المطلق: قد يفكر المقاومون في مسار اللاعنف المطلق ويراهنون على استعدادهم للموت باعتبار ذلك خطة لا استسلاماً، فلن يقتل النظام مئات الآلاف ممن يتلقون الموت بصدور عارية، وفي هذه الحالة لن يستمر القمع إلى ما لانهاية وسيزداد التصدع في معسكر الخصم، ويتم إحراج الدول الداعمة للنظام الديكتاتوري، وسيزداد التعاطف الشعبي. وهذا المسار يتطلب استعداداً نفسياً عالياً، وعلى المقاومة أن تعد نفسها له جيداً إن اختارته. وعاة ما يتطلب قيادة عامة يثق فيها المشاركون ليطبقوا هذه الاستراتيجية. ومن أبرز تحدياته حالات التنكيل الشديدة التي تثير الغضب والرغبة في الرد في الانتقام، مثل اغتصاب النساء. وهو ما يجعل أي صوت يدعو للتريث وعدم تحويل المسار صوتاً متخاذلاً مفرطاً في الأعراض.

كانت ثورة الخميني من الثورات التي جسدت في بعض ملامحها تلك المعاني بوضوح حين أطلق نداءه المشهود للمتظاهرين: «**لا تهاجموا الجيش في صدره، ولكن هاجموه في قلبه**»، إذا صدرت إليهم الأوامر بإطلاق النار عليكم، فلتعروا صدوركم، فدماؤكم والحب الذي ستظهرونه لهم وأنتم تسلمون الروح لبارئها سوف يقنعهم؛ فدماء كل شهيد ناقوس خطر يوقظ آلافاً من الأحياء".. هذه كانت نصيحة الخميني للثوار في إيران عام 1979.. ترى هل كان الخميني جباناً أم استراتيجياً حكيماً؟؟

مسار العنف المدروس: قد يفكر المقاومون في العنف المدروس، مثل حماية التظاهرات، والهدف هنا هو التصدي لإحدى العقد الاستراتيجية، كمعالجة الخوف لدى المقاومة، أو بعث الأمل والجرأة على المشاركة، أو

---

1 جان ماري مولر، معنى اللاعنف، مركز اللاعنف وحقوق الإنسان، ط1، ص55.

إلقاء الرعب في قلوب من يقمعون...الخ، بحسب ما يحدده استراتيجيو المقاومة اللاعنيفة. **وفي هذا المسار تطرح الكثير من الأسئلة:**

* ما الغرض من العنف: الدفاع – الهجوم.
* من الذي سيستخدم العنف: حركات محددة – قوات منشقة عن الجيش – قبائل وعائلات معروفة. (**من الذي سيتحمل المسئولية؟**)[1]
* ما مدىٰ إمكانية أن توكل المقاومة مسؤولية الحماية لمجموعات أو جهات لا يمكن اختراقها، أو توظيفها في عنف غير مدروس؟
* ضد من يستخدم العنف: الجيش – الشرطة – البلطجية.
* ما درجة قبول المجتمع: (**فقد تتحسس المجتمعات من مواجهة الجيش الذي يحمي البلاد، وتقل هذه الحساسية مع الشرطة القمعية، وتتلاشىٰ مع البلطجية، ويختلف هذا الترتيب في العلاقة من مجتمع لآخر بحسب طبيعة العلاقة بين الشعب والجيش والشرطة**[2]).
* ما طبيعة العنف: لفظي – بدني – حجارة – مولوتوف – أسلحة (**بيضاء – نارية – ثقيلة**).
* ما نتيجة العنف المتوقعة؟
* ما مدىٰ قدرة الحراك المقاوم علىٰ السيطرة علىٰ العنف: بحيث لا يتحول إلىٰ مسار أصلي؟
* كيف يتم تجنب فوضىٰ السلاح حيث يقتل الثوار بعضهم بعضاً؟

كل هذه الأسئلة تطرح علىٰ العنف الأسئلة الجادة، إذ يبدو مخرجاً حالماً، فتساعد هذه الأسئلة في كبح جماحه وتقدير إمكانات المسار وتوابعها بشكل

---

1 ارجع في الملحق للثورة اليمنية وكيف كانت المسئوليات محددة في التعامل العنيف.

2 راجع الثورة اليمنية في الملحق.

منهجي. فالهدف هنا سيكون حماية المسار اللاعنيف، حتىٰ لا يضطر الناس للانخراط في العنف الجاهل الذي لا يبقي ولا يذر. الهدف هو حصار العنف حتىٰ لا يندلع بشكل هيستيري، والحفاظ علىٰ مسار اللاعنف الذي يكفل تقوية المجتمع.

وهذا الخيار يتطلب الدراسة الواعية لأن أخطاءه قد تطيح بمشروع التغيير برمته، لتحول المقاومة في وعي الناس إلىٰ مجموعة من الإرهابيين، بينما الأخطاء في كل أشكال العمل السلمي تكلفتها محدودة، وتزيد من خبرة المجتمع وتبني قدرته علىٰ الفعل المقاوم اللاعنيف، حتىٰ وإن أثارت أحياناً غضب المجتمع فهو غضب مؤقت سطحي لا يضرب بجذوره في أعماق الذاكرة.

وهكذا تتعدد المسارات، ويتم دراسة كل مسار وتكلفته وإمكانية القيام به. فقد يكون المسار الأفضل هو اللاعنف المطلق، لكن إمكانية تحقيقه غير متوفرة، خاصة إن لم تكن الثقافة اللاعنيفة متوفرة، ولم يتم استيعاب معنىٰ «**أن تُقتَل ولا تَقتُل**». أو كانت الجموع تخشىٰ الموت فلا تخرج بصدور عارية، وهذا مسار وإن كان هو الأفضل يتطلب خدمة وتقديم نموذج بارز. وقل مثل ذلك في مسار العنف المدروس، فربما كانت حماية المسار السلمي هي الأفضل، لكن لا توجد تلك الجهة أو المجموعة المؤتمنة علىٰ هذه المهمة. وبالتالي يمكن الاستغناء عن المسار والاكتفاء بحماية كل شخص لنفسه بما يستطيع توفيره من أدوات ردع مقبولة مجتمعياً بحسب كل بيئة. وتظل العبرة النهائية بالهدف، فإن كان الهدف مجتمعاً قوياً يخوض الصراع السياسي بوسائل مدنية، فعليه أن ينتصر لتلك الوسائل، وألا يضن علىٰ ذلك بأي تكلفة مطلوبة.

ليست هذه هي المسارات الوحيدة المحتملة، ولكنها نماذج، والاستراتيجيون بارعون في تصميم مسارات مكافئة للواقع، وقد يدمجون بين أكثر من مسار.

في النهاية وبعد اختيار المسار المناسب تبدأ عملية اختيار التكتيكات المناسبة، التي من شأنها أن تضمن سلامة المسار وتحقيقه لأهدافه. حتىٰ أولئك الذين يجدون ضرورة أن يحموا نشاطهم من قمع مفرط، عليهم أن يختاروا التكتيكات التي تقول نعم سندخل في المسار الذي درسناه، وخططنا له جيداً، وسنظل دائماً في مربع الفعل، ولن ننجر إلىٰ رد الفعل عن جهل أبداً. كل ذلك وفق شروطنا، وبناء علىٰ معاييرنا العلمية، ليجد الخصم نفسه في النهاية في مسارنا نحن، يلعب وفق القواعد التي وضعها المقاومون لتقوية المجتمع. فيقاوم الإضراب مثلاً بحشد عمالي من الموالين له، وهذا في حد ذاته انتصار للمجتمع، بعد أن كان يرميه بالرصاص، حيث تمكن المجتمع من نزع سلاح السلطة، وحافظ علىٰ مسار اللاعنف، وفرضه علىٰ خصمه لتصبح «**السلمية**» لغة الحوار بدلاً من الرصاص، كما يتم حقن دماء المجتمع، وتوحيد صفه، وعدم تكريس القوة العسكرية لدىٰ أي فصيل فيه.

خلاصة خيارات حرب اللاعنف في التعامل مع القمع

سواء كانت المقاومة تواجه عنفاً محدوداً أو مفرطاً فإنها تقع بين عدة خيارات تقع علىٰ مسطرة، يتوسطها خيار الحماية، وطرفاها هما اللاعنف المطلق والرد، وتتحرك المقاومة علىٰ هذه الدرجات المختلفة بحسب الحالة. وقد تدمج بين الخيارات، فتختار اللاعنف المطلق لمدة ساعة، مع التحمل وضبط الناس، ثم ترد بأعمال احتجاجية تصعيدية لاحقاً بعد أن يتأكد مشروعية مقاومتها.

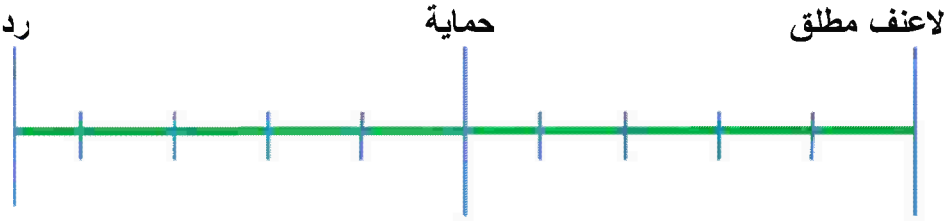

شكل 18 : يبين الخيارات المتاحة والطيف الواسع بين اللاعنف المطلق والحماية والرد، والدرجات التي بينهم، ويتم الاختيار السليم بناء على طبيعة المرحلة والاستراتيجية المحددة، بما يحافظ على المسار السلمي ولا ينحرف به لصالح مسار العنف.

أولاً: التمسك باللاعنف المطلق

ويكون ذلك من خلال:

التحدي بالصدور العارية: تحدي آلة القمع، ولا يوجد افتراض في هذه الاستراتيجية أن قوات القمع لن تطيع الأوامر، بل ستطيع، وسيجسد صمود المتصدين بأجسادهم العارية درجة إيمانهم بقضيتهم، ويرى الناس والعالم ومجتمع القمع هذه الحالة من التفاني وعدم الرد من جهة المقاومين، كما يرون الحمق والإجرام من جهة النظام. وقد يتسبب ذلك في سقوط شهداء، كأي معركة ضد الطغيان قد يسقط فيها بشر.

وتأخذ أشكال التمسك باللاعنف والتصدي بالصدور العارية أشكالاً عدة مثل الوقوف مجموعات، أو الجلوس أرضاً، أو النوم في الشارع أمام المدرعات وقوى القمع، وكلما كان المشهد أكثر تجسيداً للسلمية وتأكيداً لها وأبلغ على مخاطبة العالم كله، كلما أصبح القمع في هذه الحالة جزءاً من الخطة.. خطة انهيار الحق الأخلاقي والسياسي لما يقوم به النظام. كما يسرع ذلك من عمليات الانهيار الداخلية للنظام. ولا يستبعد من ذلك مواجهة

الرصاص بالحجارة - في تعبير عن الغضب - إن كانت الاستراتيجية تسمح بذلك، فليس الكل يستطيع رفع يديه للسماء وفتح صدره لتلقي الضربات. ففارق السلاح واضح للجميع.

استراتيجية تجنب الاشتباك: وتسعىٰ لتجنب الاشتباك تماماً مع القمع، مثل الامتناع عن دفع الفواتير، أو الجلوس في البيوت وعدم مغادرتها، أو إشغال المباني الحكومية بأعداد كبيرة من البشر بدعوىٰ طلب خدمة معينة، لكنهم في الواقع يشلون حركة الإدارة.

ثانياً: الحماية:

أحياناً يُدمج التمسك باللاعنف المطلق باستخدام وسائل الحماية المتنوعة التي تقلل الخسائر وتزيد من شجاعة المحتجين، مثل الدروع ونظارات البحر. وكل الأدوات المستخدمة تكون في إطار الحماية (**وليس الرد**). كما يراعىٰ اختيار شكل الدروع وأدوات الحماية والكتابة أو الرسم عليها بحيث تعكس الرسالة ولا توحي بنية الرد.

ثالثاً:الرد:

ويكون في حالات القمع المفرط مع الرغبة والقدرة علىٰ الحسم من قبل المقاومين، أو الحالات الحاسمة التي تحسم نهائياً الصراع وتتطلب درجة من التدخل المباشر، مثل ما حدث من تدافع بدني، وإحضار الجرافات لإزالة الحواجز إن لزم الأمر في مشهد احتلال مبنىٰ البرلمان في الثورة الصربية عام 2000. كذلك يدخل في خيار الرد وسائل التدخل الخشن وفق ضوابطه المذكورة سابقاً.[1]

---

1 انظر قاعدة التدخل الخشن.

هل استخدام السلاح في بعض الحالات يندرج في حرب اللاعنف؟

استخدام الأسلحة البيضاء والنارية وأي سلاح مميت، لا يندرج مبدئياً في أسلوب «**حرب اللاعنف**».. لكننا سنتناول هنا نظرة «**حرب اللاعنف**» لأشكال العنف المسلح، من حيث مدىٰ قرب أو بعد حالات الرد بعنف من المسار الذي تتبناه، ومتىٰ يجب أن يستشعر المقاومون أن المسار أصبح عرضة للخطر.

حالات القوات النظامية

* أن يبادر المحتجون قوات مكافحة الشغب برمي الحجارة، فهذا الفعل لا يمت لمسار اللاعنف بصلة.
* أن يكون المسار السلمي هو الطاغي، وتصحبه محاولات دفاعية بالحجارة أمام عدوان بالسلاح، فلا يعني ذلك انحراف المسار السلمي، فالمحتجون اختاروا أداة رمزية (**غير مميتة**) يحاولون دفع الأذىٰ بها عنهم، بدون نوايا لإزهاق الأرواح. وتظل بذلك حركة المقاومة في إطار «**حرب اللاعنف**» التي تنهض بالمسار السلمي وتحميه.
* أن يكون السلاح الخفيف موجهاً إلىٰ أجهزة قمعية نظامية بغرض الدفاع من قبل مجموعات قليلة جداً (**مثلاً واحد من كل ألف من المشاركين**). هذه الحالة تعد انحرافاً تاماً عن مسار «**حرب اللاعنف**»، ومؤشراً خطيراً بانتهاء المسار، إن لم تكن هناك وقفة جادة للتحقيق في أسباب وهويات من قاموا بذلك، وإعلان التبرؤ الكامل مما جرىٰ.
* أن يكون السلاح الخفيف موجهاً لأجهزة قمعية نظامية بهدف الهجوم: هذه الحالة خارج نطاق«**حرب اللاعنف**» تماماً. ولا تصنف فيه بأي حال من الأحوال.

حالات القوات غير النظامية (البلطجية)

* أن يكون الرد بالحجارة علىٰ مجموعة تحمل أسلحة قاتلة تهاجم الأنشطة السلمية. في هذه الحالة يظل الحراك في إطار حرب اللاعنف.
* أن تستعمل أعداد قليلة جداً أسلحة نارية للرد علىٰ هجوم من البلطجية دون تواجد لقوات نظامية، يكون مؤشراً علىٰ أن مسار اللاعنف في خطر.
* أن تستعمل (**أعداد كبيرة**) أسلحة نارية في هجوم علىٰ البلطجية دون تواجد قوات نظامية، لا يمت لمسار حرب اللاعنف بصلة.
* أن تستعمل (**أعداد صغيرة**) أسلحة نارية في هجوم علىٰ البلطجية مع تواجد قوات نظامية، لا يمت لمسار حرب اللاعنف بصلة.

حالات القوات الخارجية

في حالة ظهور المقاومة المسلحة (**سواء أسلحة بيضاء أو أسلحة نارية خفيفة ومتوسطة وثقيلة**) كخط أساسي وفاعل، فلا تعتبر امتداداً لحرب اللاعنف، سواء حظيت بمباركة شعبية، أم لم تحظ. خاصة حين تأخذ الطابع الهجومي، ويكون الرهان عليها في خوض الصراع، ويتوقع أن تنتج عنها ردود أفعال عنيفة. في هذه الحالة نكون أمام نوع جديد من الحروب، وهو «**حرب العصابات**»، قد تصاحبه بعض الوسائل السلمية، لكنه لا يمت «**لمسار حرب اللاعنف**» بصلة.

الطرف	الحالة	التقدير
قوات نظامية	المحتجون يبدأون الهجوم بالحجارة.	عنف
	المسار سلمي والمحتجون يدافعون عن أنفسهم بالحجارة أمام هجوم مسلح.	حرب اللاعنف
	المسار سلمي والمحتجون وأعداد قليلة جداً تدافع بالسلاح الخفيف أمام هجوم	عنف ومؤشر خطير علىٰ احتمال تحول مسار

	مسلح.	حرب اللاعنف
	سلاح خفيف موجه بهدف الهجوم.	عنف
	كل الأسلحة المتوسطة والثقيلة.	عنف
البلطجية	رد بالحجارة علىٰ مجموعة تهاجم بالسلاح.	حرب اللاعنف
	أعداد قليلة مسلحة ترد هجوم مجموعات مسلحة، لا تدعمها ميدانياً قوات نظامية.	عنف ومؤشر خطير علىٰ احتمال تحول مسار حرب اللاعنف.
	أعداد قليلة مسلحة ترد هجوم مجموعات مسلحة من البلطجية تدعمهم ميدانياً قوات نظامية.	عنف
	أعداد كبيرة مسلحة ترد هجوم مجموعات مسلحة من البلطجية.	عنف
القوات الخارجية	المقاومة المسلحة.	عنف

جدول 8: **استخدام السلاح بصفة عامة يعتبر خارج مسار «حرب اللاعنف»، بعض حالات الرد بالحجارة يغض الطرف عنها باعتبار السلاح المقابل والحالة الدفاعية، وبعض حالات الدفاع عن الذات بالسلاح ضد بلطجية تكون مؤشراً وجرس إنذار علىٰ احتمال انحراف المسار.**

ويمكن القول بأن الحالات السابقة قد لا تصلح حكماً علىٰ الحالات في كل البلاد. لتحديد ما إذا كانت ممارساتها انحرفت عن مسار «**حرب اللاعنف**» أم لا. بسبب اختلاف الثقافات حول معنىٰ العنف وطبيعة التعامل مع السلاح، وطبيعة من يصوب نحوه. فالمجتمعات التي يغلب عليها الطابع القبلي المسلح تختلف عن المجتمعات الحضرية. ويظل المعيار الأساسي هو إمكانية أن

يساعد هذا العنف المحدود في حصار العنف، وليس إشعاله[1].

فعلىٰ سبيل المثال عنف الثورة المصرية في موقعة الجمل في يوم 2 فبراير 2011، وهي تتصدىٰ بالحجارة والزجاجات الحارقة للبلطجية – الذين حاولوا اقتحام ميدان التحرير – في مشهد دفاعي لا تخطئه عين مراقب؛ كان من شأنه حصار العنف، بل ومشاركة الكثير من المصريين لاحقًا تضامنًا مع من كانوا في ميدان التحرير، ولم تكن هناك إدانة شعبية تذكر لهذا الرد (**رغم وجود إدانة من البعض للثورة ذاتها**)، لأن الجميع يعلم أن المواجهة تتم مع بلطجية، علىٰ عكس لو كان هذا الاشتباك مع القوات المسلحة المصرية، في هذه الحالة كان العنف سيشتعل، ولم تكن الجماهير ربما لتشارك آنذاك.

لماذا عدم التساهل في الرد بعنف؟

القاعدة الأساسية في حرب اللاعنف هي الصمود والحماية وعدم فتح الباب علىٰ مصراعيه أمام فكرة الرد بعنف، ليتحول العنف إلىٰ أن يكون الإجابة الأسهل بدلاً من التفكير في إبداع آليات جديدة، **ويعود ذلك لعدة أسباب:**

* من السهل فتح بوابة العنف ومن الصعب إيقاف طوفانه والتحكم فيه. تبدأ الفكرة في البداية بمجرد الرد علىٰ العدوان، ثم تتوسع لبعض العمليات الهجومية، ثم الحديث عن ضرورة القضاء علىٰ العملاء والطابور الخامس المتربص بالثورة، ثم يتطور الأمر للاقتتال الأهلي بين المجموعات المسلحة.
* العنف لا يقود إلىٰ مجتمع مدني قوي، بل يقود إلىٰ مجتمع تترعرع فيه

---

1 عندما نتعرض للحديث عن استخدام السلاح فهو تناول موضوعي من منظور "حرب اللاعنف"، لنحدد ما يدخل في إطاره وما لا يعتبر في إطاره. فمقاومة المحتل بالسلاح لا تدخل في منهج حرب اللاعنف، وهذا في حد ذاته لا علاقة له بإدانة هذا النوع من المقاومة أو تأييده. إنما مجال الكتاب هنا هو التعريف بأسلوب "حرب اللاعنف"، ومحاولة تحديد الخط الفاصل بينه وبين العنف.

الميليشيات العسكرية، حيث يصبح القانون أن من لديه القوة العسكرية ينتصر.

* تكتشف المقاومة في وسط الصراع أن الأزمة لم تعد في دحر الخصم، فهذا سيحدث عاجلاً أم آجلاً بعد استنزافه، وإنما التحدي في هذه الجماعات المسلحة التي ستقتتل بسبب اختلاف الأهداف والأيديولوجيا والمطامع. وبذلك يكون المجتمع بدخوله مسار العنف قد فجر خصمه ونفسه معاً.
* العنف هو الملعب المفضل لدىٰ الخصم وكثيراً ما تجر الأنظمة القمعية حركات المقاومة السلمية إليه، وتستفزها حتىٰ تتورط فيه، وتسقط عنها أي بعد أخلاقي، وتشيطنها في عيون الناس والعالم.
* العنف يؤدي إلىٰ شرخ اجتماعي قد يتطلب علاجه سنوات طويلة.
* ما أُخذ بالعنف سيتم الدفاع عنه بالعنف، وهو ما يضع البلاد في دوامة العنف المستمر.
* استخدام العنف سيشرع لأي قوة تغيير لاحقاً أن تستخدمه.
* يتطلب العنف حتىٰ ينجح حاضنة شعبية وهو ما لا يتوفر بسهولة في الصراع ضد الديكتاتوريات، اللهم إلا إن استخدم النظام نفس وحشية قوات الاحتلال من قصف وتهجير.
* العنف يخيف الناس وهي بطبعها تميل للاستقرار، ويحرم قطاعات واسعة من المجتمع من المشاركة لتنعزل المقاومة عن الشارع ويفترسها النظام لاحقاً.

* * * *

الخلاصات

* الهدف النهائي من الصراع السياسي في فلسفة «**حرب اللاعنف**» هو بناء مجتمع قوي، حر، متماسك، منتج، يحترم التعددية، يدور الصراع السياسي فيه عبر وسائل مدنية.
* على المستوى الاستراتيجي تأتي القاعدة: إن كل ما يدعم بناء المجتمع القوي يصبح صحيحاً، وكل مايؤدي إلى ضعفه يصبح مرفوضاً.
* الانجرار غير الواعي إلى العنف يضعف الحركة المقاومة ولا يقويها، وإن الضابط الأساسي لاستخدام بعض التكتيكات الخشنة إن لزم الأمر، هو الدفاع عن المسار اللاعنيف.
* المسارات المحتملة في حالات القمع المفرط هي الاستسلام أو العنف غير المدروس أو اللاعنف المطلق أو العنف المدروس.
* التمسك بمسار اللاعنف المطلق ينبغي أن يصحبه قدر من الحماية لتقليل الخسائر وزيادة الشعور بالأمن.
* القاعدة الأساسية في حرب اللاعنف هي الصمود والحماية وعدم فتح الباب على مصراعيه أمام فكرة الرد بعنف، ليتحول العنف إلى أن يكون الإجابة الأسهل بدلاً من التفكير في إبداع آليات جديدة.
* من السهل فتح بوابة العنف ومن الصعب إيقاف طوفانه والتحكم فيه. وهو يؤدي لتصدعات اجتماعية يتطلب علاجها عقوداً.
* العنف لا يقود إلى مجتمع مدني قوي، بل يقود إلى مجتمع تترعرع فيه الميليشيات العسكرية.

* العنف هو الملعب المفضل لدىٰ الخصم، وانجذاب حركات المقاومة السلمية إليه يُسقط عنها البعد أخلاقي، ويساعد النظام القمعي علىٰ شيطنتها في عيون الناس والعالم.

* * * *